الفصل الثاني

من فقه قوله تعالى:

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾

تمهيد:

عنوان هذا البحث هو جزء من الآية السابعة والثلاثين من سورة الأحزاب، وقد تضاربت الأقوال في تفسيرها وتباينت وجهات نظر المفسرين في توجيهها، وقد تبادر إلى الذهن بعد إمعان النظر في تلك الأقوال ودراسة هذه النظرات والتدبر في مفهوم الآية معنى هو غير ما وقفت عليه من المعاني رأيت الإبانة عنه بهذا البحث، وأخاله المعنى المنسجم مع نظم الآية، والموافق مع ما كان يتوخاه ﷺ من الحكمة في كل ما كان يقدم عليه من التصرفات، والمتساوق مع مقام النبوة واللائق برفعة شأنه.

والآية تتعلق بقصة زواج الرسول ﷺ من زينب بنت جحش، التي كانت ابنة عمته أميمة بنت عبد المطلب، وذلك بعد أن طلقها زوجها زيد بن حارثة الكلبي، وزيد هذا قد خطف مع من خطف في غارة على حيهم وهو غلام، وأتي به إلى سوق عكاظ للبيع فاشتراه حكيم بن خزام لعمته خديجة بنت خويلد بأربعمائة درهم، فلما تزوج ﷺ منها وهبته له، وكان عمره ثماني سنوات، ولما علم أبوه حارثة وعمه كعب مكانه أتيا إلى مكة ومعهما الفداء، وزارا الرسول عليه الصلاة والسلام قبل الإسلام وقالا له: يا ابن عبد المطلب ويا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله تفكون العاني وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا عبدك فامنن علينا وأحسن فداءه، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ادعوه فخيروه فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من**

اختارني فداءً»، قالوا: لقد أنصفتنا، فدعا ﷺ زيداً وقال له: **«هل تعرف هؤلاء»**؟ قال: نعم، هذا أبي وهذا عمي، فقال عليه الصلاة والسلام: **«فأنا من علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو اخترهم»**، فقال زيد: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم، فقالوا: ويحك يا زيد أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك؟ قال: نعم إنني رأيت من هذا الرجل ما لا يمكن معه أن أختار عليه أحداً.

وعلى إثر هذا أخرج ﷺ زيداً إلى الحجر وأشهد الناس على عتقه والمنّ عليه بالحرية وتبنّيه إياه على أساس العرف المعروف بهذا الخصوص قبل الإسلام تقديراً لما بدا منه له عليه الصلاة والسلام من الحب والإخلاص ما حمله على إيثاره الرسول عليه الصلاة والسلام على أهله وعشيرته.

ولما رأى أبوه وعمه هذا الصنيع طابت منهما النفس وانصرفا مسرورين[1].

وقد ازدادت أواصر المحبة بينه ﷺ وبين زيد يوماً بعد يوم حتى عده عليه الصلاة والسلام أحد أفراد أسرته، يشهد به ما ورد عن أسامة بن زيد، قال: كنت جالساً عند النبي، إذ جاء عليّ والعباس يستأذنان، فقلت: يا رسول الله عليّ والعباس يستأذنان، فقال: **«أتدري ما جاء بهما؟»** قلت: لا أدري، فقال: **«لكنني أدري»**، فأذن لهما، فدخلا فقالا: يا رسول الله جئناك نسألك أي أهلك أحب إليك؟ قال: **«فاطمة بنت محمد»**، فقالا: ما جئناك نسألك عن أهلك. فقال: **«أحب أهلي إليّ من أنعم الله عليه وأنعمت عليه زيد بن حارثة»**، وقالا: ثم من؟ قال: **«ثم علي بن أبي طالب»**، وقال العباس: يا رسول الله جعلت عمك آخرهم، قال: **«لأن علياً سبقك بالهجرة»**[2].

وورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما بعث رسول الله ﷺ زيد

---

(1) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (1/ 563 - 564) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (22/ 29).

(2) رواه الترمذي بسند صحيح، انظر التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول (3/ 321 - 322) للشيخ منصور علي ناصف.

ابن حارثة في سرية إلا أمّره عليهم، ولو بقي لاستخلفه. وعن سلمة بن الأكوع قال: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ومع زيد بن الحارثة سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله عليه الصلاة والسلام[1].

وزيد هذا كان يسمى حِبَّ رسول الله بعد إلغاء نظام التبني، وقد استشهد في غزوة مؤتة وهو أمير الجيش وعمره خمسة وخمسون عاماً.

وبعد هذا التمهيد أرى تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث وخاتمة إلماماً لجوانب الموضوع، المبحث الأول في زواج زينب، والمبحث الثاني في أقوال المفسرين في معنى الآية التي نحن بصدد توجيهها ومناقشة هذه الأقوال، أما المبحث الثالث والأخير فهو في بيان المعنى المتبادر إلى الذهن للآية، والخاتمة في بعض الملاحظات والاستنتاجات.

المبحث الأول:

زواج زينب

أتى الرسول ﷺ بدعوته وكانت المفاهيم الخاطئة تخيم على المجتمع الجاهلي من عدة نواح، منها التفاخر بالأرومة والاعتزاز بالنسب والاستعلاء على من لم تنهض به المنزلة الاجتماعية القبلية فتجعله من خيار الناس وأعيانهم، والنظر إلى الأحرار الذين ذاقوا ذل الرق في يوم من الأيام نظرة تمنع مسامتهم مع الأحرار الذين لم تعرف أعناقهم ذل غل الرق في وقت من الأوقات.

لذا أولى الإسلام هذه الناحية عنايته، وقرر بأن التفاخر بالأرومة والاستعلاء على أساس العرق والنسب والتبختر والمباهاة بالانتساب إلى قبيلة دون أخرى هي أمور ترتكز على أساس واه، وعرف خاطىء يستند على جرف هار وشرع باطل. فالناس كلهم ينتسبون إلى الله بالخلق والإيجاد، فلا فضل لأحد على أحد

(1) أخرجه البخاري كما جاء في الإصابة (1/ 564).

إلا بما وضعه الله من ميزان التفاضل، فمنازل الناس عند الله ليس بالانتماء إلى شعب دون شعب أو قوم دون قوم، أو بنسب معين وحسب مخصوص، وإنما بتقواه والإخلاص له ولرسوله بامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما، فالله سبحانه وتعالى جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ويتوادوا لا ليتباعدوا ويستعلي بعضهم على بعض. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]. وقال عز من قائل: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[2].

ويقول ﷺ: **«الناس كلهم لآدم وآدم من تراب»** ويقول: **«الناس كأسنان المشط لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى»**[3] ويقول: **«ألا أخبركم بأهل النار كل عُتُل جواظ مُستكبر»**[4] وقال تعالى في حديث قدسي: **«الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منها قذفته في النار»**[5] وقال ﷺ: **«ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية»**[6] وقال: **«يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان»**[7] وقال: **«إن الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وفخرها بالآباء، مؤمن تقي وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكوننَّ أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها النتن»**[8].

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 13.

(2) سورة لقمان، الآية: 18.

(3) سبل السلام (3/ 17).

(4) رواه الشيخان، انظر التاج (5/ 29) والعتل: الغليظ، الجافي. والجواظ: الجموح الممنوع للخير أو المختال، والمستكبر: المتكبر.

(5) رواه أبو داود، انظر المصدر السابق.

(6) رواه أبو داود، انظر المصدر السابق (5/ 43).

(7) رواه الترمذي، انظر المصدر السابق (5/ 30).

(8) رواه أبو داود والترمذي، انظر المصدر السابق (5/ 55). والعبيّة: التعظم والتكبر.

وزيادة على هذه الأقوال نجده ﷺ يأمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هنداً الحجام الذي كان مولى لهم، وكانوا يرونه دونهم في النسب، ولا يكافئهم في المنزلة، وقال عليه الصلاة والسلام: إنما هو امرؤ من المسلمين، ليشعرهم أن النسبة إلى الإسلام فوق كل نسبة، وأن الكفاءة في الدين والإيمان والعقيدة والإخلاص لدين الله لا في النسبة إلى المال والنسب.

ونجده يشير على فاطمة بنت قيس القرشية أخت الضحاك بن قيس، التي كانت من المهاجرات أن تتزوج ابن عتيقه أسامة بن زيد بعد أن طلقها زوجها عمرو بن حفص بن المغيرة وانقضت عدتها، عندما أتت تستشيره بأن كلّاً من معاوية وأبا جهم طلب يدها، فقال لها ﷺ: **«أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له[1]»**.

ونجد أن بلال الحبشي الذي كان عتيقاً يطلب يد امرأة من الأنصار فيأبى أولياؤها لما كان عليه من نير الرق قبل أن يشتريه أبو بكر الصديق ويعتقه، فيأمره ﷺ أن يذهب إليهم ويقول لهم: إنّ الرسول يأمركم أن تزوجوني، فيذهب إليهم بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام فيزوجونه.

ونجده عليه الصلاة والسلام يقول: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[2]**.

ولعل أوضح ما التمسه ﷺ لمجابهة الاعتزاز بالنسب والتفاخر بالآباء والنظر إلى الموالي نظرة الاستخفاف هو أنه عليه الصلاة والسلام فكر في أن يزوج كريمة من قريباته التي كانت ذات حسب ونسب، وهي زينب بنت جحش من عتيقه زيد بن حارثة الكلبي - الذي ذكرنا من هو في التمهيد -.

فكر ﷺ في هذا الزواج لتكون زينب، وهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب قدوة لغيرها من بنات وأخوات الأشراف الأحرار لتوهين أساس حاجز

---

(1) سبل السلام (3/ 172). وروي أيضاً أن معاوية هذا هو شخص آخر غير معاوية بن أبي سفيان.

(2) نيل الأوطار (6/ 137).

المفاضلة بين السادة والموالي، وليؤكد أن الإسلام ساوى بين المسلمين، وأن أكرمهم عند الله أتقاهم وأكثرهم إخلاصاً وحباً لله ولرسوله وتفانياً في سبيل إعزاز دينه.

إنه ﷺ فكر في هذا ولم ينكشف له بعد أنّ ما يفكر فيه هو أمر يريده الله سبحانه وتعالى، وأن ما يرومه هو ما تعلقت به إرادة الله ﷻ، وأنه تعالى ينزل بشأنه قرآناً.

لقد خرج ﷺ بما فكر فيه إلى حيز الواقع، فخطب زينب من أخيها عبد الله ابن جحش لمولاه زيد، ولكن عبد الله امتنع، إذ منعته العزة بالنسب أن يزوج أخته من شخص كان رقيقاً في سابق أيامه، فماذا يقول فيه السادة والأشراف من قريش ومن بني هاشم وغيرهم من العرب عندما يرون أنه خرج على عرف القوم فزوج أخته من عتيق؟

وموقف زينب لم يكن أقل تشدداً من موقف أخيها عبد الله، فأنفت أن تتزوج من شخص ليس له ما لرجال قومها الأشراف من المكانة في نظر الناس، إذ ماذا تقول عنها لداتها من بنات القوم ونساء الأشراف إن رضيت بهذا الزواج؟

إنهما رفضا العرض لأنه لم يأت على وجه الأمر والطلب الموجبين للرضا والقبول وإنما على وجه رغبة ملحة في أمر دنيوي، وما كانا يدريان أن إرادة الله تعلقت بهذا الطلب منذ الأزل، وأنه أمر ينبغي تنفيذه على وجه الحتم واللزوم لأكثر من غاية وحكمة، لذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1] أذعنا وأعلنا الرضى والقبول، وتولى عبد الله العقد عليها لزيد، وساق لها ﷺ مهرها ستين درهماً وملحفة ودرعاً ومقداراً من الطعام كما ذكر الزمخشري[2].

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 36.

(2) تفسير الكشاف: مداً من الطعام وعشرة أمداد من تمر. انظر تفسير ابن كثير (5/ 266).

وظهر بعد الزواج بين الزوجين بمدة ما عكر صفو حياتهما الزوجية، إذ لم يسلس ميا د زينب لزيد، ولم تخضع له خضوع الزوجات لأزواجهن، ولم تسلك مسلك الزوجة لبعلها، فكانت تتكبر عليه وتسمعه مايجرح عاطفته، وتؤذيه بما تلتمسه من التصرفات، فصبر زيد على إيذائها بعض الوقت، وحاول دفع ما في نفسها من الكبرياء بالنصح ولين القول، ولكن لم يجد لصبره ونصحه أي جدوى، لذلك شكا أمرها إلى الرسول ﷺ وأظهر له رغبته في طلاقها، غير أنه عليه الصلاة والسلام قال له: «**أمسك عليك زوجك**»، ونصحه بالتحلي بمزيد من الصبر وتحمل ما يجد منها من الأذى وسوء العشرة.

لاذ زيد بالصبر مدة أخرى دون أن تغير هي من موقفها شيئاً، لذا عرض زيد على الرسول رغبته في فراقها ثانية، فقال له ﷺ: «**أمسك عليك زوجك واتق الله**»، وفي نفسه شيء يخفيه، وهو ما يكون مدار بحثنا في المبحث الثالث.

ولما رأى زيد عدم الاستقامة الزوجية بين الجانبين قرر طلاقها فطلقها، ولما انقضت عدتها اقترن بها الرسول ﷺ لحكمة بالغة قابلتها حكمة أخرى لله سبحانه وتعالى جلت حكمته فيما يفعل ويشاء، يأتيك إيضاحهما، وزينب هذه كان اسمها برَّة فسماها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد الزواج منها «زينب»[1].

إن بعض ما ذكرناه هو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾[2].

(1) تفسير التحرير والتنوير (22/ 30).
(2) سورة الأحزاب، الآية: 37.

المبحث الثاني:

أقوال المفسرين ومناقشاتها

والآن نستعرض أقوال قسم من المفسرين في توجيه قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ...﴾[1] ونناقشها لنخلص إلى ما نطمئن إليه من توجيه في المبحث الذي يلي هذا المبحث.

1 - قال القرطبي: اختلف الناس في تأويل هذه الآية، فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم القرطبي نفسه وغيره: أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً أن يطلقها زيد فيتزوجها هو، ثم إن زيداً أخبره أنه يريد فراقها، ويشكو منها غلظة وعصيان أمر وتعظماً بالشرف، قال له: «**اتق الله، أمسك عليك زوجك**»، وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها. وهذا الذي كان يخفي في نفسه، ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف.

وذكر قول مقاتل: من أنه ﷺ أتى زيداً يوماً يطلبه، فأبصر زينب قائمة وكانت بيضاء جميلة جسيمة فهويها وقال: «**سبحان مقلب القلوب**»... وقال ابن عباس: وتخفي في نفسك الحب لها... وروي عن علي بن الحسين: أن النبي ﷺ كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيداً يطلق زينب وأنه يتزوجها، فلما اشتكى زيد خلق زينب وبين أنه يريد طلاقها قال له ﷺ على جهة الأدب والوصية: «**اتق الله وأمسك عليك زوجك**». وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها هو، وهذا هو الذي أخفى في نفسه... وخشي من أن يلحقه قول الناس في شيء قد أباحه له بأن قال: «**أمسك عليك زوجك**».

ويمضي القرطبي في قوله ويقول: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين كالزهري والقشيري والقاضي وأبي بكر العربي.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 37.

ويقول: فأما ما روي أن النبي ﷺ هوى زينب فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ أو مستخف بحرمته[1].

2 - قال محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي: في تفسيره من ضمن ما قال: الذي اختاره ﷺ أمر جائز مباح لا إثم فيه... وذلك روي أن النبي ﷺ كان حريصاً على أن يطلق زيد ليتزوجها وذلك لقرابتها منه ولحسنها[2].

3 - قال إسماعيل حقي: في تفسيره: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو علم بأن زيداً سيطلقها وسينكحها هو، يعني إنني أعلمتك أنها ستكون زوجتك وأنت تخفي في نفسك هذا المعنى[3].

4 - ذكر ابن الجوزي: في تفسيره لتوجيه الآية مالا يخرج عما مر معنا من المعاني والأقوال[4].

5 - قال الزمخشري: في تفسيره: إن رسول الله أبصرها بعدما أنكحها إياه - أنكح زينب من زيد - فوقعت في نفسه فقال: «**سبحان الله مقلب القلوب**» ... **وقال**: «فإن قلت ما الذي أخفى في نفسه؟ قلت: تعلق قلبه بها»[5].

6 - نقل الآلوسي: في تفسيره ما مر بيانه من قول علي بن الحسين ثم ذكر أنه على ما أخرج ابن سعد والحاكم أنه ﷺ جاء إلى بيت زيد فلم يجده وانصرف راجعاً وهو يتكلم بكلام لم تفهم زينب سوى: سبحان الله العظيم، سبحان الله مصرف القلوب، فجاء زيد فأخبرته بما كان فأتى إلى الرسول ﷺ فقال له: بلغني أنك جئت منزلي فهلا دخلت يا رسول الله؟ لعل زينب أعجبتك فأفارقها... وقال: وفي تفسير علي بن إبراهيم أنه ﷺ أتى بيت زيد فرأى زينب جالسة وسط حجرتها، فلما نظر إليها قال: (**سبحان خالق النور تبارك الله أحسن**

(1) الجامع لأحكام القرآن (14/ 191، 190، 189).
(2) التسهيل لعلوم التنزيل (3/ 301).
(3) تفسير روح البيان (7/ 179).
(4) زاد المسير في علوم التفسير (6/ 387).
(5) تفسير الكشاف (3/ 262).

الخالقين) فرجع فجاء زيد فأخبرته الخبر فقال لها: لعلك وقعت في قلب رسول الله فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك؟ فقالت: أخشى أن تطلقني ولا يتزوجني. ثم قال الآلوسي: والظاهر أن الله تعالى لما أراد نسخ تحريم زوجة المتبني أوحى إليه أن يتزوج زينب إذا طلقها زيد، فلم يبادر له ﷺ مخافة طعن الناس فعوتب عليه[1].

7 - ذكر الشوكاني: ما ذهب إليه قتادة وابن جرير الطبري وغيرهم من أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو[2].

8 - نقل ابن كثير: في معنى الآية عدة روايات وقال: ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير هاهنا آثاراً عن السلف ﷺ أحببنا أن نضرب عنها صفحاً لعدم صحتها فلا نوردها ونقل ما ذكر من أن الله تعالى أعلم نبيّه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها، فلما أتاه زيد ﷺ ليشكوها إليه قال له: «**اتق الله وأمسك عليك زوجك**»، فقال: قد أخبرتك إني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه[3].

9 - وفي الأخير ننقل ما أخرجه الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال: لما انقضت عدة زينب قال ﷺ لزيد ﷺ: «**اذهب فاذكرها عليّ**»، فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت: يا زينب أبشري أرسلني الرسول يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر (أشاور) ربي ﷻ، ثم قامت إلى مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله فدخل عليها بغير إذن[4].

---

(1) روح المعاني (22/ 25 - 24).
(2) تفسير فتح القدير (4/ 275).
(3) تفسير ابن كثير (5/ 467 - 466).
(4) صحيح مسلم (2/ 1048).

بعد ملاحظة هذه الأقوال في معنى الآية نرى أنها تسير في اتجاهين اثنين في التفسير، أحدهما يرى أن الله سبحانه وتعالى أعلم الرسول ﷺ أن زيداً يطلق زينب وأنه هو يتزوجها بعد ذلك، ولكنه عندما جاءه زيد مبدياً رغبته في طلاقها قال له عليه الصلاة والسلام: «**أمسك عليك زوجك**»، وأخفى في نفسه ما أعلمه الله مخافة طعن الناس من أن يقولوا أنه تزوج مطلقة مولاه زيد، وأنه تأخر بعض الوقت عن مبادرة زواجها لهذا السبب مع ورود الوحي طالباً زواجه منها - كما قال بعضهم - فعاتبه الله على هذه الخشية وهذا التأخير.

وقد نحا المرحوم سيد قطب في تفسيره هذا المنحى بأسلوبه الشيق البليغ[1] كما اتجه محمد حسين هيكل إلى ما هو قريب من هذا الاتجاه بقلمه الأدبي الجميل[2]، وثاني الاتجاهين يرى أنه ﷺ هوى زينب وتعلق حبها بقلبه لما رآها عندما قصد دار زينب، وأخفى في نفسه هذا الحب، ولما عرض عليه زيد رغبته في طلاقها قال له عليه الصلاة والسلام: «**أمسك عليك زوجك**»: على الرغم مما كان يخفي في نفسه من الحرص على طلاقه إياها لينكحها هو بعد انقضاء عدتها.

أما الاتجاه الأول فعلى الرغم مما فيه من الاعتدال بالنسبة للاتجاه الثاني فلا أرى فيه الحجة الداعية لقبوله. وهاك ملاحظاتي على أقوال أصحاب هذا الاتجاه:

1 - من غير المعقول أن يعلم الله سبحانه وتعالى رسوله أن قضاءه جارٍ بطلاق زيد زينب وتزوجه هو عليه الصلاة والسلام منها، ويأتيه الوحي طالباً منه تزوجها بعد الفراق، ويقول على الرغم من ذلك لزيد: «**أمسك عليك زوجك**»: ويشعره أن تقوى الله في الإمساك وخلافها في الطلاق، أو يتأخر عن تنفيذ أمر الله بعض الوقت خشية طعن الناس.

فهو ﷺ لم يتوقف ولم يتردد قط عن تنفيذ شيء مما أمره الله بتنفيذه أو

---

(1) في ظلال القرآن (22/ 21 - 30).

(2) حياة محمد (314 - 317).

تبليغه في كل الحالات، ولم يحسب للمتاعب والمعارضة والاتهامات أي حساب.

2 - المطالبة بالإمساك بعد هذا الإعلام يعني الوقوف أمام تقدير الله ومحاولة عدم وقوعه، وهذه المحاولة البيّن فشلها لايفكر في التماسها أي إنسان يؤمن بالله تعالى وبقضائه، سواء كان مسلماً أو غير مسلم، فكيف بسيد الأنبياء وأقربهم إلى الله وأطوعهم لمشيته.

إن الإنسان يحاول عدم وقوع مالا يريد وقوعه، كما يلتمس من الأسباب لحصول ما يريد حصوله ولكن لو ظهر له أن مالا يريد وقوعه واقع قطعاً دون شك أو شبهة، أو أن ما يروم حصوله ممتنع كل الامتناع، لوقف مكتوف اليدين، وأذعن للأمر الواقع. إذن كيف يقول الرسول ﷺ لزيد: «**أمسك عليك زوجك**»، لو أطلعه الله على تقديره، وأعلمه أن الفراق كائن. ولو حصل هذا أمره بالإقدام على ما يريده، كأن يقول له - مثلاً -: إن ما ترومه هو ما قدره الله، فتقدم على بركة الله. وهذا ما كان يفرح زيداً أشد الفرح ويدخل السرور على قلبه ويطلقه من قيد حياة زوجية مرة كان يريد التخلص منها، هذه الحياة الزوجية التي كانت كلما فكر في إنهائها وقف أمامه حاجز قرابة زينب من الرسول عليه الصلاة والسلام، وخوفه من أن يتأثر منه الرسول إن أقدم على أبغض الحلال إلى الله، وعلى حل عقد لقي الرسول ﷺ في سبيل إبرامه المعارضة من زينب وأخيها في بداية الأمر على التفصيل الذي مر معنا.

3 - إن الرسول ﷺ عندما نصح زيداً بالإمساك وعدم الفراق كان جاداً في نصحه كل الجد، فما كان يود هدم حياة زوجية سعى لقيامها سعياً جاء الوحي بإسناده وتأييده، لأنه سبحانه وتعالى لم يخبره بعد بما جرى به القلم في علمه الأزلي من فراق زيد لها.

4 - أعتقد أنه ليس في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أيّ عتاب للرسول ﷺ، وإنما إرشاد وتوجيه وتعليم أن لا خوف من الناس بالإقدام على ما لا حرج فيه شرعاً ولا عقلاً بالتماس ما تراه صحيحاً سائغاً بما منَّ الله عليك من

إصابة الصواب في اجتهادك، فالخوف لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى، والإرشاد يحتاج إليه كل الناس نبياً كان أو غير نبي.

5 - يتضح من قوله تعالى: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ في الآية، ومن حديث مسلم المار قبل قليل، أن الله سبحانه وتعالى لم يأمر الرسول ﷺ بالزواج من زينب، وإنما أعلمه بأنه هو - جلت حكمته - زوجها منه وتولى العقد عليها له.

ويؤكد هذا الوضوح أن زينب كانت تفتخر على أزواج النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن من الرسول، أما أنا فقد زوجني الله تعالى منه من فوق سبع سماوات، كما ورد في حديث البخاري[1]. ويؤكده أيضاً أنه ﷺ بعد نزول الآية توجه إلى دار زينب مباشرة دون إذن ولا عقد ولا ولي ولا شهود ولا مهر[2].

وعليه فلا أرى الصواب في قول من قال من المفسرين أنه سبحانه وتعالى عاتب الرسول ﷺ لأنه تأخر عن تنفيذ أمره القاضي بتزوج زينب مخافة طعن الناس.

فالأمر بالتزوج غير وارد أصلاً حتى يكون هنالك تأخر في الاستجابة، وإنما الوارد هو الإعلام بالتزويج من جانبه تعالى، لذا فهو ﷺ عندما أعلمه الله جل جلاله بهذا التزويج توجه مباشرة إلى دار زينب - كما ذكرنا آنفاً - ولم ينتظر جوابها على عرضه الذي أرسل به زيداً إليها على الوجه المبين في حديث مسلم لعدم بقاء الحاجة إلى الجواب بعد هذا الإعلام.

6 - أعتقد أن قول الآلوسي بأنه سبحانه وتعالى لما نسخ تحريم زوجة المتبني أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتزويج زينب إذا طلقها زيد غير وارد على جلالة قدر الآلوسي وفيض علمه، لأنه تبين لنا من الفقرة السابقة أن الوحي لم يأت أمراً بالتزويج وإنما أتى مخبراً بالتزوج. وسواء كان الأمر تزوجاً أم تزويجاً فهو ليس بناسخ لشيء كما تصور الآلوسي أن أخذنا النسخ بمعناه

(1) تفسير ابن كثير (5/ 468، 467).
(2) المصدر السابق (5/ 467)، شرح صحيح مسلم للنووي (9/ 228، 227).

الاصطلاحي الأصولي، وإنما هو تدرج في التشريع[1]، لأن نزول نص يفيد حلّيّة ما تعارف عليه المجتمع على حرمته، أو حرمة ما تعارف الناس على حلّيته ليس فيه شيء من النسخ، بل هو تدرج في بيان الأحكام لأن ما تعارف الناس على حلية أمر أو على حرمته إن لم يكن مستنداً على نص فإن ورود النص بخلاف هذا التعارف هو تشريع لما لا حكم فيه من الشارع، وحكم مستأنف لما لم يرد بشأنه دليل شرعي يقرر حكم الله بشأنه على نحو ما.

أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه موغل في البطلان والفساد والسقوط يجب أن يتنزه عنه اعتقاد كل مسلم، وفرية من الافتراءات التي دخلت عن قصد وعن غير قصد كتب التفسير والسيرة، وتصور يجب أن لا يمر ببال مسلم يعرف رفعة مقام النبوة وجلالة قدرها وعظمة شأنها، ويدرك دقائق سيرة الرسول ﷺ وما كان يرومه من المقاصد والحكم في كل تصرفاته القولية والفعلية.

إنه أمر ينبو عنه نفس كل مسلم استنار قلبه بعض الشيء بنور ربه، ولا يمكن أن يمر بخاطر كل من يروم التماس بعض الأسباب لتوثيق صلته مع خالقه، ويجد في أعماقه بعض لذة الأنس مع بارئه، فكيف إذن برسول هو من أكرم الرسل؟ برسول كان دائم الصلة مع ربه، عامر القلب بأنسه، تنام عيناه وروحه الشريف سارح في رحاب مولاه، وقلبه صاح لا يفتر عن ذكر الله، وكانت الدنيا بما فيها من اللذات والجاه والزخارف لا تساوي عنده جناح بعوضة لأن همه كله كان منصرفاً لمرضاة ربه وأداء ما حمله من واجب الرسالة آناء الليل وأطراف النهار.

---

(1) لا يفهمن أحد هذا المصطلح بمعناه الضيق المحدود، ويتصور أنه بحكم جزئية من الجزئيات إذا توالى عليها عدة أحكام كتحريم الخمر فإنه أتى على مراحل من بيان كون إثمها أكبر من نفعها، ومن الأمر بعدم قربان الصلاة في حالة السكر، ثم الأمر في الأخير باجتنابها، وإنما يجب أن يفهمه بمعنى أوسع وأشمل منه، حيث إن الأحكام الشرعية لم تأت مرة واحدة وإنما أتت بالتدريج خلال نيف وعشرين سنة من حياة النبي ﷺ في مكة والمدينة، ومنها الإيلاء ومنها المظاهرة ومنها تحريم الربا بعد أن كان أمراً مألوفاً قبل مجيء الإسلام وبعد مجيئه لمدة معينة، ومنها إبطال ما تعارف عليه المجتمع من التبني وما كان يتبعه من الآثار وغيرها من الأحكام الشرعية أتى بها الإسلام على مراحل.

ماذا يكون انطباعنا عن مسلم من عامة الناس يهوى امرأة ذات بعل ويتمنى طلاقها ليتزوجها؟ وهل من المعقول إن شعر الزوج بهذا الحب من هذا المسلم أن يأتيه ويقول له: هل زوجتي أعجبتك؟ أفأتخلى عنها لتتزوجها؟

إذن فما أسمج الرأي وأسخفه أن يقول أحد أن زيداً أتى إلى الرسول ﷺ وقال: هل أعجبتك زينب يا رسول الله، فهل أتخلى عنها لتتزوجها؟ حبكاً من الفرية التي قيلت أن زينب أخبرت زيداً أن الرسول ﷺ قصد داره فلم يجده، ولما ولى وجهه إلى حيث أتى منه سمعته يقول: «**سبحان خالق النور، سبحان مقلب القلوب**».

إن فساد هذا الاتجاه واضح من أمور: منها علو مقام الرسول ﷺ واستعلائه على كل السفاسف ومغريات الحياة وما فيها من متع.

ومنها نص الوحي الذي يعلل سبب هذا الزواج بقوله تعالى: ﴿... زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ فزواج الرسول ﷺ من زينب بعد أن طلقها زيد إذن لم يكن بسبب تعلق حبها بقلبه، وإنما للسبب الذي أراده الله والذي أشار إليه القرآن، وللسبب الذي قصده الرسول نفسه ﷺ الذي نقف عليه في الفصل الآتي.

ومنها اختلاف الروايات والأقوال التي قيلت لترويج الفرية، ففي رواية أنه ﷺ عندما أبصرها قال: «**سبحان الله العظيم، سبحان مصرف القلوب**» - وفي رواية أنه قال: «**سبحان مقلب القلوب**» وفي رواية أنه قال: «**سبحان خالق النور تبارك الله أحسن الخالقين**». فأيّ من هذه الأقوال هو الصحيح؟

وبجانب هذه الروايات المتضاربة نجد رواية تقول أن زيداً قال لها: أطلقك حتى يتزوجك الرسول، فقالت: أخشى أن تطلقني وأن لا يتزوجني، وتقول رواية أخرى: أن زيداً عندما أتى رسولاً منه عليه الصلاة والسلام إلى زينب قال لها: أبشري يا زينب، أرسلني الرسول ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة حتى أؤامر (أشاور) ربي. فالرواية السابقة تبين أنها كانت ترغب في الزواج منه

وتتمناه ولكنها تخاف أن لا يتزوجها إن طلقها زيد، وتأتي الرواية الثانية وتذكر أن الرسول طلب يدها بعد طلاقها فقالت: ما أنا بصانعة حتى أشاور ربي.

إن الروايات لحبك الفرية يعتريها الخلل من كل جانب، ويتوجه إليها الاعتراض من كل جهة، وتبدو عليها آثار الوضع كيفما قلبتها.

فمن الروايات التي مرت معنا هو أنه ﷺ قصد منزل زيد وانصرف عنه بعد أن أعلمته زينب عدم وجوده فيه، ولما عاد زيد إلى منزله أعلمته زينب بمجيء النبي ﷺ وانصرافه وسماعها هي قوله: «سبحان مقلب القلوب»، وعلى أثر هذا أتى زيد إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقال: يا رسول الله بلغني مجيئك منزلي فهلا دخلت، لعل زينب أعجبتك فأفارقها؟.

وهنا تنقطع رواية الفرية ولا تذكر ماذا جرى بينهما. فهل قال له ﷺ: نعم أعجبتني فطلقها؟ وهذا ما لم يقل به أحد، وهو لا يجوز أن يمر بخاطر إنسان يحترم عقله وتفكيره، ولا يجوز أن يصدقه مسلم يعتد بإسلامه ودينه، زد على هذا أنه من الثابت أن زيداً كلما أبدى رغبته في طلاقها تلقى منه عليه الصلاة والسلام النصح بالإمساك وعدم الإقدام على أبغض الحلال إلى الله، وهذا معضد بنص القرآن، أم أنه ﷺ قال: لا إنها لا تعجبني فلا تفارقها، ويكون قد كتم عنه إعجابه بها، ونفى تعلق حبها بقلبه، ويكون في نفيه هذا كاذباً؟!.

فتوهم مثل هذا الوهم بحقه ﷺ جريمة شنيعة تخرج المسلم عن حظيرة الإسلام. فالله سبحانه وتعالى قد عصم نبيه من الكذب ومن كل ما يشين الإنسان ويعيبه، فهو جلت قدرته قد خلقه على نمط خاص لا يسامته أي نمط مهما سما وعلا، وفطره على فطرة النبوة التي لا تدانيها فطرة أي مخلوق، وبراه على وجه خال عن كل شائبة من شوائب النقص.

إنه ﷺ كان يعاف الكذب ويمقته، ولم يجرب عليه شيء منه قبل النبوة فكيف به بعد النبوة وبعد أن حمّله الله أداء أمانة الإسلام الجامع لكل الفضائل إلى الناس جميعاً. ولقد أنطق الله سبحانه وتعالى شاعر الرسول حسان بن ثابت بالحقيقة عندما قال بحقه ﷺ:

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

إن وضوح الاختلاق في هذا الموضوع الذي نحن بصدد كشف الغطاء عنه هو الذي أنطق القرطبي فقال - كما مر معنا - وأما ما روي أن النبي ﷺ هوى زينب امرأة زيد، فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي عليه الصلاة والسلام عن مثل هذا أو مستخف بحرمته[1].

ومن الغريب والمؤسف أن بعض المعاصرين من كتاب السيرة ومن المؤلفين في التفسير انطلت عليهم الحقيقة وغاب عنهم الصواب فانساقوا مع الروايات الكاذبة التي نقلها بعض كتّاب السيرة دون أن يقوموا بالتمحيص والتدقيق، وميزان الأقوال والآراء بالميزان الصحيح وعرضها على موازين المنطق، فهانت عليهم الفرية وظنوها حقيقة وأثبتوها فيما كتبوه، وقالوا في تبريرها أن الرسول كان بشراً، وكان يعتريه بطبيعته البشرية بعض الرغبات والميول، وهو بهذه الطبيعة مال إلى زينب لما رآها على ما كانت عليها، لذا لا ضير فيها ما لم تصل إلى مجاوزة الحد ومقاربة الذنب.

إن هذا التبرير لجعل الفرية صدقاً ساقط سقوط الفرية نفسها، ولا وزن له في ميزان الحقيقة.

نعم من المعقول أن يرى الرسول ﷺ امرأة تحل له فيعجبه حسنها ويرغب في نكاحها. أما أن يعجبه حسن امرأة ذات بعل فيهواها فهو أمر ينافي مقام أهل الليمى من الصالحين بله مقام النبوة، ولا يجوز أن يمر ببال من يعرف معنى العصمة، واطلع على أحوال الرسول ﷺ، وما قدره الله له من عظمة النفس والرفعة على النوازع الشهوانية الهابطة.

نعم إن الرسول عليه الصلاة والسلام كان بشراً وكان يعتريه ما يعتري غيره من العوارض الجسمية من تعب وراحة وجوع وشبع ويقظة، ويعتري نفسه من العوارض التي لا تعارض فطرة النبوة كالفرح والتأثر والغضب والحب والكراهية

(1) الجامع لأحكام القرآن (14/ 189).

وغيرها من العوارض النفسية، أما ما كان يعارض فطرة النبوة فكانت نفسيته الشريفة بمنأى عنه، وعواطفه مستعصية على إيحائه، ومنافذ قلبه موصدة أمام وساوسه، وكانت يقظته الروحية الموصولة السبب بالله كل حين عصية على كل مفاتن الوجود، وكانت أعلى وأجل من أن يقترب من حماها مطارق الإغراء والأهواء والشهوات.

ألم يعرف هؤلاء أن زينب كانت بنت عمة الرسول ﷺ، وأنها كانت تحت سمعه وبصره منذ أن كانت صغيرة إلى أن بلغت سن الزواج، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يراها في كثير من المناسبات، ويعرف أهي ذات مفاتن وجمال أم لا، فلماذا كان عازفاً عنها؟ ولم يجد لحبها مكاناً في قلبه ليمد لها يد الزواج، وإنما يطلب يدها لعتيقه زيد، ولكنه يهواها ويعلق حبها بقلبه في لفتة عارضة بعد أن تزوجت وأصبحت ذات بعل!!! سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن هذه الفرية تشبه الفرية التي حيكت حول يوسف عليه السلام من أنه همَّ بمخالطة امرأة العزيز عندما راودته لولا صرف الله إياه من اقتراف الفاحشة معها فهماً من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾[1].

وقد انساق مع هذا القول كثير من المفسرين مبررين أن الإنسان بما ركب فيه من الشهوة ينساق مع دوافعه الجنسية، وكذا كان شأن يوسف عليه السلام، ولكن عناية الله أدركته فصرفته عن اقتراف الفاحشة. فنجد مثلاً الزمخشري يقول: ولقد همت به معناه: ولقد همت بمخالطته، وهم بها أي: هم بمخالطتها[2]. ويقول الشوكاني: والمعنى أنه هم بمخالطتها لمّا همت بمخالطته، ومال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية[3].

ولا أدري كيف استساغ من نحا هذا المنحى من المفسرين هذا التفسير، وكيف جوزوا تصور مثل هذا الهم مع كل هذه النعوت التي أسبغها الله سبحانه

(1) سورة يوسف، الآية: 24.
(2) تفسير الكشاف (2/ 311).
(3) فتح القدير (3/ 16).

وتعالى على يوسف عليه الصلاة والسلام من مدحه بأنه قال عندما راودته امرأة العزيز: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[1] ووصفه ﷻ بـ: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ ووصفه بأنه كان من المحسنين، وبأنه آتاه حكماً وعلماً؟!.

إننا نقرأ في بطون الكتب عن أهل التقوى والصلاح، أنهم ارتفعوا فوق كل إغراء من صاحبات جمال، وسمت غريزتهم الجنسية عندما امتحنوا بمراودة الموسومات بالحسن والوسامة والجاه، فهل يكون تسامي يوسف الصديق عليه السلام أدنى من تسامي هؤلاء الصالحين الذين بين مقامهم ومقام النبوة بون شاسع؟!.

إن المراودة حصلت من امرأة العزيز بكل ما كانت تمتلك من وسائل الإغراء، وصور القرآن الكريم هذه المراودة بقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[2] ولكنها لم تجد لمراودتها أدنى استجابة من يوسف عليه السلام، لا بل وجدت كل إباء وامتناع، إذ قال لها: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ وأمام هذا الإباء والامتناع استشاطت هي غضباً وهمت به بالبطش لامتناعه عن تلبية إربها على الرغم من إذلال نفسها له وهي سيدته في نظرها، ومن شأن المرأة أن تكون مطلوبة لا طالبة، ويوسف عليه السلام لما أحسّ بهمها رأى مقابلة بطشها بالبطش، ولكنه ألهم بسوء المغبة إن نفذ همه، فرأى تفادي الأمر بالحسنى والتخلص منها بالفرار، فأدار وجهه عنها، واستبقا الباب وشقت قميصه من دبر[3]، وبعض الإمعان في الآية الكريمة وتدقيق النظر فيها يقودك إلى المعنى الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾ ويريك أن المراد بالهم ليس القصد القلبي باقتراف الفاحشة بل الهم منها بالضرب والهم منه بمقابلة الضرب بالضرب، لأنه إذا كان المقصود بالهم هنا - سواء كان من جانبها أم من جانبه - القصد القلبي بالمخالطة للزم أن

(1) سورة يوسف، الآية: 23.
(2) سورة يوسف، الآية: 24.
(3) تفسير المنار (12/ 275 - 285).

تأتي قبل القول بالمراودة لا بعدها، لأن المراودة مرحلة لا تحصل إلا بعد الشغف والهيام وتتلو القصد القلبي بالمخالطة، لذا فلابد أن يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ المذكور بعد قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا..﴾ غير معنى قصد المخالطة الذي تتضمنه المراودة وهو قصد ضربه جزاء امتناعه وقصد مقابلة ضربها بالضرب دفاعاً عن النفس، ثم إن قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ينفي كل النفي أن يكون معنى الهم المخالطة، لأن السوء والفحشاء مصروفان عنه ابتداء فهو من العباد المخلصين عن كل ما يشين من قصد وميل، فلو حصل ميل المخالطة لولا أن رأى برهان ربه تعالى لقال ﷻ: لنصرفه عن السوء والفحشاء.

المبحث الثالث:

المراد من الإخفاء في الآية

والآن نحاول بيان بعض المقاصد من زواج الرسول ﷺ ممن تزوج منهن من النساء للوقوف على الحكمة من تزوجه عليه الصلاة والسلام من زينب بنت جحش المتعلق بموضوعها الآية، للشخوص منها من الحكمة إلى المراد مما كان يخفيه ﷺ في نفسه والذي تشير إليه الآية.

ولا بد لنا أن نذكر هنا أن أعداء الإسلام من المستشرقين ومن غير المستشرقين ذهبوا إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان شهوانياً، وكان هذا هو السبب في إكثاره من الزوجات وجمعه عدداً منهن تحت عصمته في آن واحد.

وهذا القول من هؤلاء قول واه أملاه الحقد على الإسلام وعلى نبي الإسلام، والعداوة لما أتى به من دين وهداية وتشريع، وأوحاه الجهل بالأسباب والحكم التي كانت تختفي وراء كل زواج ممن تزوج بهن من النساء.

فمن الهراء الموغل في الضلال والقول الممعن في البطلان أن يذهب أحد إلى أن الرسول ﷺ كان شهوانياً وسيطرت عليه الغريزة الجنسية، فأخذ يتزوج عدداً من النساء في الفترة التي قضاها في المدينة المنورة بعد الهجرة، لأن سيرته تكذبه والتاريخ يرد عليه فريته... إذ من الثابت في التاريخ أنه ﷺ كان يجل نفسه في شبابه عن كل ما يملى على أمثاله ولداته من نزوات الشباب ومجونه، فلم يرد ولم يُر قط أنه قصد مكاناً من أماكن العبث التي كان فتيان قريش يرتادونها في مكة وفي أطراف مكة التي كانت للبغايا فيها دور معروفة، عليها أعلام تدل عليها.

إنه ﷺ تزوج السيدة خديجة التي كانت أرملة من شريفات قريش، وهي تناهز الأربعين من عمرها، وهو في الثالث والعشرين من عمره، وقضى معها ثمانياً وعشرين سنة، سبع عشرة منها قبل البعثة وإحدى عشرة منها بعد البعثة، وهو عليه الصلاة والسلام لم يفكر خلال هذه المدة في تزوج امرأة أخرى، ولو أراد لتزوج من يشاء من الباكرات من كريمات قومه، ولزوجه السادة والأشراف بناتهم بكل فخر واعتزاز لما كان عليه من أصالة المعدن ورجاحة العقل ونقاء السريرة وصدق القول وسمو السجايا والأخلاق، لكنه ﷺ لم يفكر في زوجة أخرى لأنه لم يكن شهوانياً همه النساء كما زعم الخراصون.

إنه ﷺ بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وأرضاها وبعد أن تخطى الخمسين من عمره حيث يفتر دافع الجنس في الإنسان عادة، بدأ من التزوج من النساء اللائي كن ثيبات عدا أمّ المؤمنين الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنهما، وكانت فيهن كبيرات مسنات لا يرغب في أمثالهن للحياة الزوجية عادة. إنه تزوج كل واحدة منهن لسبب معين وهدف مقصود.

فقد تزوج مثلاً سودة بنت الزمعة أرملة السكران بن عمرو والذي كان من السابقين إلى الإسلام، وهي قد أسلمت مع زوجها وتحملت من قريش الشيء الكثير من الإيذاء والمضايقة مثلما تحمل الزوج، وهاجرت معه إلى الحبشة، وبعد أن مكثا مدة عادا إلى مكة بعد أن سمعا تخلي قريش عن إيذاء المستضعفين

من المسلمين، ولكنهما وجدا قريشاً على ما دأبت عليه من مقاومة الدعوة وإيذاء من انضم تحت لوائها، ولم يطل بهما المقام حتى مات الزوج وبقيت الزوجة حزينة كاسفة البال تندب حظها بفراق الزوج ورحيل المعيل، ففكر ﷺ في أمرها وفيما هي عليه من الحال، فقرر مواساتها ومداواة جراحها ومجازاتها على ما لقيت في سبيل عقيدتها من الإيذاء والتشريد بالتزوج منها، فتزوجها وأزال عنها ما كانت فيه من غم وهم، وأنالها شرف لقب أم المؤمنين، وكان ذلك بعد وفاة أم المؤمنين السيدة خديجة وفي أواخر أيامه بمكة.

وتزوج بعد الهجرة من عائشة بنت أبي بكر ثم من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما إكراماً لوالديهما لما كان لهما من التفاني في سبيل العقيدة والاندفاع المتواصل لإعلاء راية الإسلام، وتمتيناً لما كان بينه وبين وزيريه من الرابطة الإيمانية بالقرابة الزوجية.

ثم إن حفصة ترملت نتيجة استشهاد زوجها في غزوة بدر، فحزنت حزناً شديداً لفقد زوجها، وحزن لحزنها عمر وحاول تخفيف وطأة الألم في قلبها بما التمس من أسباب المواساة فلم يفلح، ولما علم بأمرها الرسول ﷺ رأى أن خير ما يجازي حفصة ويجعلها تنسى مصابها هو الزواج منها، إذ فيه إكرام لعمر زيادة على إكرام ابنته.

وتزوج عليه الصلاة والسلام في السنة السادسة من الهجرة من جويرية التي كانت بنتاً للحارث زعيم بني المصطلق، إنها أسرت في الغزوة المسماة باسم هذا الحي من عرب خزاعة، فأتت إلى الرسول ﷺ في بيت عائشة تطلب العون في الفداء، فرأى الرسول عليه الصلاة والسلام أن من الحكمة أن يكرمها بالتزوج منها ليتألف قومها، فتزوجها، ولما علم المسلمون بهذا الزواج أطلقوا من كان تحت أيديهم من أسرى قومها إكراماً لهذه المصاهرة، وصار ذلك سبباً لإسلام بني المصطلق وزعيمها والد جويرية. وبهذا الصدد تقول السيدة عائشة: ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها.

وتزوج ﷺ أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان عام خيبر، ورملة هذه أسلمت مع

زوجها عبد الله بن جحش، وهاجرت معه إلى الحبشة فراراً من إيذاء قريش، وبقيا فيها إلى ما بعد الهجرة، غير أن الزوج ارتد وتنصر وبقيت هي مصرة على عقيدتها ودينها، وافترقت عن الزوج وفي نفسها ألوان من الهموم، ولما علم عليه الصلاة والسلام بحالها قرر إكرامها بالزواج منها تقديراً لجهادها وثباتها على دينها بين زوج مرتد وأب مشرك وغربة موحشة، فكتب بقراره هذا إلى النجاشي ولما أوصلت إحدى جواري قصر النجاشي هذا الخبر إليها كادت تطير من فرحها ونزعت سوارين من يديها، وأهدتهما إلى الجارية لحملها لها هذه البشرى السارة، ووكلت أحد المهاجرين ليتولى العقد عليها للرسول ﷺ، وتم العقد في قصر النجاشي بمحضر من المهاجرين الباقين في الحبشة. والنجاشي قد أولم بهذه المناسبة وليمة فاخرة لهؤلاء المهاجرين الذين عبروا البحر فيما بعد بسفن بعث بها النبي ﷺ، وتوجهوا نحو المدينة ومعهم أم حبيبة.

وهكذا نجد أنه ﷺ تزوج كل زوجة لحكمة بالغة وغاية نبيلة بعيدة المرمى، والأمر كان كذلك بالنسبة لتزوجه من زينب، إذ قصد من ورائه أمراً ذا مغزى بعيد.

لقد مر معنا أنه عليه الصلاة والسلام طلب من زينب وهي من كريمات النساء وابنة عمته أن تتزوج من زيد بن حارثة الذي كان عتيقاً له، وعلمنا أن زينب بعد الزواج كانت تتعلي على زوجها بعزة النسب، وتسبب له المتاعب النفسية، ومر معنا أن زيداً أبدى للرسول ﷺ استياءه من معاملتها وأظهر رغبته في مفارقتها والرسول ﷺ ينصحه بالصبر لعل قيادها يسلس له بمرور الأيام، ولكن مرور الأيام لم يغير من سلوكها معه لذا بدأ الضجر يستولي على نفس زيد استيلاء دفعه لمصارحة الرسول عليه الصلاة والسلام أن لامناص من الفراق لنفاد صبره عن تحمل متاعبها أكثر مما تحمل[1].

وهنا بدأ ﷺ يفكر في أمر زينب، ماذا يكون شعورها النفسي إن فارقها زيد وعلى أي ألم تنطوي جوانحها بعد الفراق، وماذا يكون شعورها بالنقص بين

(1) انظر كتابنا: أحكام النكاح (142 - 151).

لذاتها وغير لذاتها من شريفات قريش عندما يرين أن من هو دونها في المنزلة الاجتماعية لم يتحملها وأخلى سبيلها، ومَنْ من سادة القوم يتقدم إليها ويطلب يدها بعد أن لحقها العار - في نظر القوم على أساس العرف الذي لم تمح آثاره بعد - بتبعلها عتيقاً وجد مهانة الرق في سابق أيامه، وهي الهاشمية القرشية.

ثم كيف يمكن بعد الفراق معالجة نفسيتها وإعادة الاعتبار إليها بين نساء قومها، وإزالة ما كانت تشعر في أعماقها من المهانة، ومداواة الجرح الذي أصاب كبرياءها وأنفتها، وكيف يمكن مجازاتها على خضوعها لأمر الله ورسوله بالزواج ممن كان المجتمع يرى أنه دونها في المنزلة بمراحل لتكون قدوة لبنات الأشراف ونسائهم لهدم كيان عادة موروثة تنظر إلى المحررين من الأرقاء نظرة استخفاف، ولا ترى فيهم الكفاءة لتزوج بنات السادة الذين لم يعرفوا ذل الرق في يوم من الأيام.

فالرسول ﷺ كان يفكر في كل هذا في الظن الغالب الذي يزاحم البديهة عندي بدليل يوحي به ما رافقت الواقعة التي ندرسها من أمور، ويدل عليه ماكان ﷺ يتوخاه من الحكمة في كل تصرفاته، ومنها إكثاره في الزواج.

لذا رأى أن أفضل ما يكافىء زينب على تضحيتها وأنجع وسيلة لإدخال السرور على قلبها وإعادة كامل الاعتبار إليها وجعلها تنسى كل ما كانت تشعر من منقصة، هو إكرامها بأن يتزوجها هو ﷺ إذا طلقها زيد بعد انتهاء عدتها وإن كانت مطلقة من متبناه قبل الإسلام على العادة المعروفة وقتئذ، لأنه سبحانه وتعالى سبق منه البيان بإبطال نظام التبني وعدم بنائه على أساس يعتد به شرعاً، وذلك بقوله ﷻ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ﴾[1].

فالدعيّ إذن ليس بابن للمتبني وإنما هو أخوه في العقيدة والإسلام، وهو لا

(1) سورة الأحزاب، الآيتان: 4-5.

يدعى لمن تبناه بل يدعى لأبيه، فالابن هو الابن من النسب فقط، وعليه فإن زيداً ليس بابن له وإنما هو ابن لأبيه حارثة الكلبي.

وتأكيداً لهذه الحقيقة قال سبحانه وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾[1] فزينب إذن ليست بزوجة ابن له، وإنما هي زوجة مولاه زيد فإذا طلقها زيد فإنها تحل له.

نعم الإسلام سبق له أن نعى على نظام التبني وأبطله، فلم يعد الدعي ابناً لمن تبناه، وإنما هو ابن لأبيه، وزيد الذي كان يسمى زيد بن محمد غداً يسمى زيد بن حارثة الكلبي، ولكن على الرغم من هذا الإبطال ظل بعض آثاره عالقاً في أذهان الناس، ولم يتخلص منه المجتمع بالكلية، منه اعتبار تزوج حليلة الدعي بعد الفراق بموت أو طلاق شيئاً يعاب عليه وسحب ما لحليلة الابن من النسب من الحكم على حليلة الدعي.

لذلك كان الرسول ﷺ يرى من جانب أن الحكمة تدعوه للتزوج من زينب إذا طلقها زيد، ومن جانب آخر كان يتخوف من رد الفعل لدى أعدائه إن أقدم على الزواج منها في حالة مفارقة زيد لها، والنقد الذي كان يتعرض له من المنافقين واليهود الذين كانوا يستغلون كل فرصة لإشاعة قالة السوء عنه، وافتعال التهم والمعايب لإسنادها إليه.

كل هذا وذاك كان يفكر فيه الرسول ﷺ ويخفيه في نفسه دون أن ينبس به لأحد، إنه كان يتخوف منه حينما أظهر له زيد رغبته في طلاق زينب، وكذلك بعد أن نفذ زيد رغبته وفارق زوجته، والله سبحانه وتعالى لم يعلمه بعد أن ما يدور في نفسه من اجتهاد صائب هو أمر موافق لحكمه الذي ينزل بشأنه قرآناً، وتقدير من تقديراته لحكمة أخرى غير الحكمة التي يستهدفها هو يفصح عنها الوحي، وهي إزالة ماظل عالقاً في الأذهان من النظر إلى حليلة الأدعياء نظرتهم إلى حليلة الأبناء على الرغم من إبطال التبني، لأن بقاء هذه النظرة يحد من

(1) سورة الأحزاب، الآية: 40.

فاعلية الإبطال، وأنه سبحانه وتعالى قرر في علمه الأزلي أن يكون هو عليه الصلاة والسلام الرائد لمحو تلك النظرة في الأذهان لقطع كل حجة على مستريب، كما قرر لإزالة حاجز المفاضلة بين الموالي والسادة الأشراف إحدى قريباته الكريمات على التفصيل الذي مر معنا.

وجاءه الإعلام بعد أن قرر عليه الصلاة والسلام تنفيذ ماكان بصدده على الرغم مما كان يتخوف منه، وبعد أن أرسل إلى زينب يطلب يدها مباشرة، والإعلام هو قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[1].

ففي الآية عدة مقاطع كل مقطع في معنى من المعاني التي تم بيانه أرى تسويرها وإيجاز المراد منها على الوجه الآتي. وأستميح القارئ الكريم إن وجد هنا بعض التكرار لبعض ما مر معنا اقتضاه المقام.

أ - إنه ﷺ يقول لزيد الذي أنعم الله عليه بالهداية والإيمان والصحبة، وأنعم عليه بالعتق والمحبة والزواج من كريمة من قريباته: «**أمسك عليك زوجك**»: عندما رأى برمه بها لسوء عشرتها معه، وإرادته طلاقها وهذا هو معنى الشطر الأول من الآية.

ب - إنه عليه الصلاة والسلام ينصحه بالإمساك، وهو مع ذلك يفكر في مصير زينب إن فارقها زيد، ويخفي في نفسه أنَّ الحكمة تدعوه ليتزوج منها إن أبانها زوجها إكراماً لها وتطييباً لخاطرها وتقديراً لرضوخها لأمر الله وأمر رسوله بتبعلها زيداً العتيق وهي الكريمة ذات الحسب والنسب. وهذا ما نفهمه من الشطر الثاني من الآية.

---

(1) سورة الاحزاب، الآية: 37.

ج - إنه ﷺ كان يرى الحكمة داعية للتزوج من زينب إن أخلى زيد سبيلها بعد أن أبطل الوحي نظام التبني، وبين أن الدعي ليس بابن لمن تبناه، وإنما هو ابن أبيه، وهو ما يملي عدم حرمة زوجته بعد الطلاق أو الوفاة على من تبناه، ولكنه عليه الصلاة والسلام كان يخشى ألسنة السوء وتقولات الأعداء من اليهود والمنافقين إذا أقدم على ما تملي عليه الحكمة ومدّ يد الزواج لزينب. وهذا ما يجمله الشطر الثالث من الآية.

د - إنه عليه الصلاة والسلام كان يفكر في الموضوع ويقلبه على أوجهه، والله سبحانه وتعالى لم يخبره بعد أن ما يجول في نفسه ويكتمه هو أمر قدره الله، وإنه عليه الصلاة والسلام لما صمم على الإقدام وأرسل زيداً إلى دار زينب خاطباً، يأتيه الوحي ويعلمه أن ما يرومه جرى به القلم، وأنه سبحانه وتعالى قد تولى العقد عليها له ﷺ. وهذا مفاد الشطر الأخير من الآية.

أعتقد أنه اتضح الآن معنى الآية كل الوضوح، وأن الحيدان بها إلى غير ما قرأته من توجيه هو صرف لها عن معناها الحقيقي، وحرف بها عن المعنى المقصود بها.

فنصيحته ﷺ لزيد بعدم مفارقة زينب، وتفكيره في إكرام زينب بتزوجها في حالة مفارقة زيد لها، والتخوف من قالة الناس وإرساله زيداً إليها خاطباً، كل هذه كان سابقاً على نزول الآية المتعلقة بموضعنا والتي بينا المراد منها بدليل سياق الآية ومقاطعها التي أشرنا إليها، وبدليل ما ورد في صحيح مسلم من حديث أنس المار ثبته في المبحث الثاني. وها إني أكفيك مؤونة الرجوع إليه والبحث عنه بإعادته ثانية لتكون على اتصال مع ما أنت فيه من قراءة وسلسلة تفكير: قال أنس: (لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد: «**اذهب فاذكرها عليّ**» - أي فاخطبها لي من نفسها - فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها، قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أكاد أستطيع أن أنظر إليها أن رسول ﷺ ذكرها، فوليتها ظهري ونكصت على عقبي، فقلت: يا زينب أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي،

فقامت إلى مسجدها، ونزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا. . .﴾[1] فجاء رسول الله فدخل عليها بغير اذن، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد زوجها منه بهذه الآية[2].

خاتمة البحث

إن الآية التي حولها البحث تشتمل على عدة معان جليلة وفيها دروس بليغة منها:

1 - وجوب طاعة الرسول فيما يؤكده ويصر عليه، فهو ﷺ طلب يد زينب لزيد فأبت وامتنع أخوها، فأكد الطلب تأكيداً دل على لزوم الانقياد لا على مجرد عرض يمكن معه الامتناع، بدليل نزول الوحي المتضمن نفي الخيرة فيما هو بصدده ﷺ من أمر.

2 - موافقة إرادة الله لما رآه ﷺ باجتهاده من لزوم زواج زينب من زيد للحكمة التي توخاها من هذا الزواج، وموافقة إرادته جل شأنه لما كان يخفيه عليه الصلاة والسلام في نفسه من لزوم التزوج منها بعد مفارقة زيد لها.

3 - إشعار الأمة بأن العبرة في الكفاءة في ميزان الله هي التقوى والإخلاص لله ولرسوله، فزيد العتيق المخلص لله ولرسوله ولعقيدته كفء لكريمة من أعلى الأرومة في الحسب والنسب لذا أمر ﷺ أن تتزوج زينب منه.

4 - إكرام زيد الذي أخلص للرسول ﷺ وأحبه غاية الحب في حالي العبودية والحرية، وآثره على أهله وعشيرته، وفضل قربه منه عبداً على بعده عنه حراً، ورفع منزلته من وجهين.

---

(1) سورة الأحزاب، الآية: 37.

(2) انظر صحيح مسلم (2/ 1049، 1048)، شرح صحيح مسلم للنووي (9/ 228، 227).

أ - تزويجه كريمة شريفة من قريبات الرسول نفسه بأمر الله وبأمر رسوله، هذا الزواج الذي كان نعمة من الله ورسوله بنص مانزل به الوحي لأنه ازداد بالتقرب من الرسول بالتزويج من ابنة عمته ﷺ شرفاً وقدراً.

ب - تخليد ذكره في الوحي بورود اسمه في القرآن الكريم إشارة مرة وصراحة مرة أخرى، وتعبد المرتلين بترتيل هذا الاسم ضمن مايتلونه من ألفاظ الآية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

5 - إكرام زينب التي انقادت لأمر الله ورسوله بالتزوج من زيد العتيق على الرغم من اعتزازها بشرف منزلتها ومكانتها وخروجها على عرف قومها لتكون رائدة لهدم أساس بنيان هذا العرف الخاطىء الذي سار عليه المجتمع الجاهلي، إكرامها من عدة نواح:

أ - من ناحية اختيارها لتكون قدوة لمجابهة هذا العرف الخاطىء.

ب - من ناحية توطين الرسول ﷺ نفسه على التزوج منها إن طلقها زيد لإعادة الاعتبار إلى نفسها، وإضفاء لقب أم المؤمنين عليها.

ج - من ناحية تولي الله سبحانه وتعالى العقد عليها للرسول عقداً موثقاً خالياً عن الولي والمهر والشهود.

د - من ناحية ورود ذكرها إشارة في القرآن الكريم.

هـ - من ناحية جعلها طرفاً في إلغاء أثر من آثار نظام التبني.

obeikandl.com

المصادر والمراجع

1 - الإصابة في تاريخ الصحابة، لابن حجر العسقلاني.
2 - أحكام النكاح، لصاحب البحث، الطبعة الأولى.
3 - التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول، للشيخ منصور علي ناصف. طبع دار المكتبة العربية، الطبعة الثانية.
4 - التسهيل لعلوم التنزيل، لمحمد أحمد الغرناطي، تحقيق محمد عبد المنعم وإبراهيم عطوة.
5 - تفسير ابن كثير، طبع دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
6 - تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، طبع الدار التونسية للنشر.
7 - تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البروسوي، طبع سنة 1330هـ.
8 - التفسير الكبير للإمام الرازي، الطبعة الثانية - الناشر دار الكتب العلمية طهران.
9 - تفسير الكشاف للزمخشري، دار الفكر - بيروت.
10 - تفسير فتح القدير، للشوكاني، الطبعة الأولى.
11 - تفسير المنار، للسيد محمد رشيد رضا. الطبعة الرابعة.
12 - الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي. الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.
13 - حياة محمد، لمحمد حسين هيكل، الطبعة الرابعة.
14 - روح المعاني، للآلوسي، الطبعة المنيرية.
15 - زاد المسير في علوم التفسير، لجمال الدين عبد الرحمن الجوزي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر.
16 - سبل السلام، لمحمد بن إسماعيل الصنعاني، نشر محمد علي صبيح.

obeikandl.com

17 - شرح صحيح مسلم للنووي، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت.
18 - صحيح مسلم، تحقيق فؤاد عبد الباقي، دار التراث العربي.
19 - في ظلال القرآن، لسيد قطب، الطبعة الخامسة.
20 - نيل الأوطار، للشوكاني، الطبعة الثالثة.

obeikandl.com